فَصل في ذِكْر إدريس عَلَيْهِ السَّلام[١]

قال ابن إسحاق: واسمه أَخْنُوخ، وقيل: إنه أَخْنُوخ[٢]، وهو ابن يَرْذ بن مَهْلائيل بن قَيْنان بن أَنُوش بن شِيْث بن آدم عليه السلام.

وقال الجوهري: إنما سمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى[٣].

وأوحي إليه وأبوه يَرْذ حيٌّ قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

قيل: إنَّ الله تعالى ذكره في موضعين[٤].

قال ابن سعد بإسناده عن ابن عباس قال: وهو أوَّل من أعطي النبوة، وبعثه الله بعد آدم، وهو خَنُوخ بن يَرْذ[٥].

قلت: وهو وهم. أوَّل نبيٍّ بعد آدم شِيث، وقد ذكرنا أنَّ الله تعالى أنزل عليه صحائف.

والصَّابئة تسمِّي إدريس هِرمِس، ومعناه: حكيم الحكماء، وتزعم أنه يملك الدنيا وينزل من السماء، وقد أشار إلى هذا أبو العلاء المعرِّي فقال[٦] [الطويل]:

إذا دخل الهِرماسُ جِلِّقَ والياً ... فما كَذَبَتْ فيما تَقولُ الهَرَامسُ

يعني الحكماء.

وقال ابن إسحاق: وُلد إدريس في حياة آدم، وقد مضى لآدم ست مئة واثنان وعشرون سنة، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

وهو أوَّل من خطَّ بالقلم وخاط الثياب، وكان الناس يلبسون الجلود.

---

(١) انظر قصته في «تاريخ اليعقوبي» ١/ ١١، و«تاريخ الطبري» ١/ ١٧٠ـ١٧١، ومروج الذهب ١/ ٧٣، و«عرائس المجالس» ص ٥٠، و«المنتظم» ١/ ٢٣٣، و«الكامل» ١/ ٦٢، و«البداية والنهاية» ١/ ٩٩.

(٢) في (ب): (خَنُوخ).

(٣) «الصحاح»: (درس).

(٤) الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[الأنبياء: ٨٥].

(٥) «الطبقات الكبرى» ١/ ٤٠.

(٦) البيت في «لزوم ما لا يلزم» ٢/ ٨٦١.

وهو أوَّل من سبى بني قابيل واسترقَّ منهم.

وأوَّل من طرز الطرز، وخطَّ بالرَّمل، ونظر في علم النُّجوم وسمَّاها، ووضع أسماء البروج والكواكب السيَّارة ورتَّبها في بيوتها، وأثبت لها الشَّرف والوبال والحضيض والأوج والتربيع والتثليث والتسديس والمقاربة والمقابلة والرجوع والاستقامة ونحو ذلك، لأنه صعد إلى السماء، وألهمه الله تعالى معرفة هذه الأشياء.

وهو أوَّل من جاهد في سبيل الله.

وقال ابن عباس، موقوفاً عليه ومرفوعاً: أربعة من الرُّسل سُريانيُّون: آدم وشِيث وخَنُوخ ونوح[١].

قال: وجَمَع بني آدم ووعظهم وأمرهم ونهاهم عن مداناة بني قابيل، فخالفه جماعة فقتل وسبى واسترقَّ[٢].

قال: وكان يصعد له في اليوم من العمل ما لا يصعد لبني آدم في السنة، فحسده إبليس وعصاه قومه، فرفعه الله إليه، وأدخله الجنَّة، ورُفعَ وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة[٣].

قال جدي رحمه الله في «التبصرة»: وعاش أبوه بعد رفعه إلى السماء مئة وخمساً وثلاثين سنة[٤].

ذكر رفعه

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[مريم: ٥٧] اختلفوا في المكان الذي رفع إليه على أقوال:

أحدها: في السماء الرابعة، وفي «الصحيحين» من حديث مالك بن صَعصَعة في

(١) ذكره ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤ من كلام ابن عباس، وأخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٧١ وابن حبان في صحيحه (٣٦١) من حديث أبي ذر ﷺ، وإسناده ضعيف جداً.

(٢) انظر «التبصرة» ١/ ٥٠.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٤٠، وابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢٣٣.

(٤) «التبصرة» ١/ ٥٠.

المعراج أن النبي ﷺ رآه فيها[١].

والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنه في السماء السابعة. حكاه أبو سليمان الدمشقي[٢].

والرابع: في الجنَّة، قاله ابن زيد. وقيل: إنَّ الجنَّة في السماء الرابعة.

وفي سبب صعوده إلى السّماء أقوال:

أحدها: أنه كان يصعد له في كل يوم من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم في زمانه، فتعجَّبت منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته فأذن له، فهبط إليه في صورة بني آدم وصحبَهُ، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، فعل ذلك ثلاث ليالٍ، فأنكره إدريس وقال له: مَن أنت؟ فقال: لا تخف، أنا ملك الموت، استأذنت ربي في زيارتك وصحبتك فأذن لي، فقال له إدريس: لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: تقبض روحي. فأوحى الله تعالى إليه: اقبض روحه، ففعل، ثم ردَّها الله إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: وما الفائدة في سؤالك؟ فقال: لأذوق الموت وكربه فأكون له أَشدَّ استعداداً. ثم قال له إدريس: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء وتريني الجنَّة والنار، فأذن الله له في رفعه إلى السماء، وسأل ملك الموت أن يسأل مالكاً خازن النار أن يفتح له باباً من أبوابها، ففعل، فرآها فقال لملك الموت: كما أريتني النّار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنَّة فأدخله إيَّاها، فلما طاف فيها قال له ملك الموت: اخرج منها وعدْ إلى مستقرِّك، فتعلَّق بشجرة فقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً فحكم بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ فقال: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته. وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر: ٤٨] فلست أخرج. فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل وبأمري فعل ما فعل، فخلِّ عنه، فتركه، قاله

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) انظر الأقوال في «زاد المسير» ٥/ ٢٤١.

ابن عباس ووهب، ورواه زيد بن أسلم مرفوعاً[١].

فإن قيل: فمن أين لإدريس هذا وكيف علم ما في كتابنا، وهو لم ينزل عليه؟!

فالجواب: إنَّ الله تعالى ألهم إدريس ما فعل، وعلَّمه وجوب الورود وامتناع الخروج من الجنَّة.

وفيه أيضاً دليل على قدم القرآن، وأنهم قد كانوا يعرفون بعضه من اللَّوح المحفوظ، وإليه وقعت الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ـ١٩] وإن لم يكن فيها بهذه العبارة.

والقول الثاني: أنَّ بعض الملائكة أحبّ إدريس، فنزل إليه وصادقه، فلمّا عرف إدريس أنه ملك قال له: هل بينك وبين ملك الموت معرفة؟ قال: نعم، هو أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده ليرفق بي عند الموت؟ قال: نعم، اركب على جناحي، ففعل فصعد به إلى السماء فمرَّ به على ملك الموت فرآه جالساً على كرسي وبين يديه لوح فيه أسماء الخلائق، فكلَّمه في إدريس، فقال له: تكلمني في رجل قد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجَله إلا طرفة عين؟ فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: إن إدريس سار يوماً في الشمس فأصابه وهجها، فقال: اللَّهمَّ خفِّف ثقلها عن من يحملها، فأصبح الملك الموكَّل بها وقد خفَّ عنه ما لم يعهده، فسأل الله عن ذلك فأخبره بدعاء إدريس له، فقال: يا ربِّ اجمع بيني وبينه واجعلْ بيننا خُلَّة، فأذن له فأتاه فقال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت أن يؤخِّر أجلي، فقال: إنّ الله لا يؤخِّر نفساً إذا جاء أجلها، ولكن أكلِّمه فيك فما استطاع أن يفعل معك فعل. ثم حمله الملك على جناحه فوضعه عند مطلع عين الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: صديق لي من بني آدم أسألك أن تؤخِّر أجله، فقال: ليس لي إلى ذلك سبيل، ولكن إن أحببت أخبرتك متى يموت، فنظر في اللوح وقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً. قال: وكيف؟ قال: لأني لا أراه يموت إلا

(١) انظر عرائس المجالس ٥٠ـ٥١، والمنتظم ١/ ٢٣٤.

عند مطلع عين الشمس. قال: فإني خلَّفته هناك، قال: انطلق فما تجده إلا ميتاً، فرجع فوجده ميتاً. رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال كعب[١].

قال: وذكر إدريس في التوراة فقال: أخنوخ أحسن خدمة الله فرفعه الله إليه.

وقال ابن عباس: أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم: إدريس وعيسى في السماء وإلياس والخضر في الأرض وكلهم يموتون إلَّا إدريس، فإنه إذا مات الخلق أصابته دهشة، فيبقى في عداد الموتى وهو حيٌّ.

وقيل: هو الذي يجيب الله تعالى إذا مات الخلق وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[غافر: ١٦] فيقول إدريس: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦].

وقال كعب الأحبار: في التوراة: إنه استجاب لإدريس ألف إنسان ممن دعاهم إلى الله تعالى.

وقال الهيثم بن عدي: أوصى إدريس قبل رفعه إلى ابنه مُتُّوشَلْح ـ بالحاء المهملة، ويقال: مُتُّوشَلْخ بالخاء المعجمة ـ وكان صالحاً، ولد على مضي ثلاث مئة سنة من عمر والده إدريس.

ومُتُّوشَلْخ أول من ركب الجمل، وسلك طرائق الخير والصلاح. ولما عهد إليه إدريس عرفه بالنور الذي انتقل إليه منه، وعاش تسع مئة وتسعاً وستين سنة، ويقال: إنَّه ولد في حياة آدم.

وأقام إدريس في النبوة مئة وخمساً وستين سنة، ورفعه وهو ابن أربع مئة وخمسٍ وستين سنة، كذا روى الضحاك عن ابن عباس، وحكاه الخطيب.

فصل في ولد مُتُّوشَلْخ

منهم لَمْك أبو نوح عليه السلام، وبربر وروس وصقلاب، وإليه تنسب الصقالبة، وصابىء وإليه تنسب الصابئة، ولم ينتقل النور إلا إلى لَمْك ويقال لامَك، لما نذكر، وإليه أوصى مُتُّوشَلْخ.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٥/ ٢٤١ ـ٢٤٣، والتبصرة ١/ ٥٠ ـ ٥٢.

ذكر الجاهلية الأولى

واختلفوا فيهم: فقال الشعبي: كانوا بين عيسى ومحمّد صلى الله عليهما وسلّم[١].

قال أبو العالية: بين داود وسليمان[٢].

وقال مجاهد: بين إبراهيم وموسى.

وقيل: في زمان نمرود، كانت المرأة تلبس قميصاً من الدّرّ فيرى باطنها فيه، ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، تعرض نفسها على الرِّجال[٣].

وروى عطاء عن ابن عباس قال: وفي زمان متوشلخ كانت الجاهلية الأولى، وهما بطنان من بني آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صِباحاً وفي النساء دَمامة، ونساء السهل صِباحاً وفي الرجال دمامة، فجاء إبليس إلى رجل من السهل فأخذ زمارة فزمر بها فظهر له منها صوت لم يسمع مثله، فاجتمع إليه الرجال والنِّساء ونزلوا من الجبل، فاختلطوا وتبرَّج النِّساء، فكثرت الفواحش حتى أغرقهم الطوفان، وفيهم بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣][٤].

وإبليس أوَّل من زمر وناح[٥].

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٤.

(٢) انظر «تفسير البغوي» ٣/ ٥٢٨.

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٢٨ عن الكلبي.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٤، وقال ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٥٢٠: إسناده قوي.

(٥) أورده الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فصل في الحوادث التي كانت في زمان إدريس عليه السلام

قصَّة هاروت وماروت

وهما اسمان سُريانيَّان لا ينصرفان للعُجمة والتَّعريف، وكانت قصتهما على ما ذكره ابن مسعود وابن عباس والمفسرون: أنَّ الملائكة رأت ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة، وذلك في زمان إدريس، فعيَّروهم بذلك، ودعوا عليهم وقالوا: يا ربنا هؤلاء الذين اخترتهم وجعلتهم في الأرض خلفاء وهم يعصونك، فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا. فقالوا: سبحانك ما كان لنا ـ أو ما ينبغي لنا ـ أن نعصيك. فقال لهم الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أُهبطهما إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم.

وقال الكلبي: قال الله: اختاروا ثلاثة، فاختاروا عزائيل، ووعزا وهو هاروت، وعزايا وهو ماروت، وإنما غُيِّر اسمهما لمَّا قارفا الذنب ـ [كما غُيِّر][1] اسم إبليس وكان اسمه عزازيل ـ قال: فركّب فيهم الشهوة وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن القتل والزِّنا، والشرك وشرب الخمر.

فأمَّا عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال، وسأل الله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله ورفعه، وسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى. وقيل: إنه بقي على حاله.

وأمَّا الآخران فإنهما ثبتا على ذلك، وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم، فصعدا إلى السماء.

قال قتادة: فما مرَّ عليهما شهر حتى افتتنا.

قالوا جميعاً: وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل النساء، قال علي كرَّم الله وجهه: كانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها، فلمّا رأياها

(١) في الأصول الخطية: «فركب»، وما أثبتناه من «عرائس المجالس».

أخذت بعقولهما أو بقلوبهما فراوداها عن نفسها، فأبت ثم انصرفت. ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثل ذلك، فأبت، وقالت: لا إلَّا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل لنا إلى هذه الأشياء، فإنَّ الله تعالى نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت لهما بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا الخمر فانتشيا، ووقعا على المرأة فزنيا، فلمَّا فرغا رآهما الشاب[1] فقتلاه.

قال الرَّبيع بن أنس: وسجدا للصنم؛ فمسخ الله الزهرة كوكباً.

قال علي بن أبي طالب والسُّدي والكلبي: إنها قالت لهما: لن تدركاني حتَّى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء، فقالا: باسم الله الأكبر، قالت: فما أنتما بمدركيَّ حتّى تعلّماني إياه، فقال أحدهما للآخر: علِّمها، قال: إني أخاف الله، قال الآخر: فأين رحمة الله؟ فعلَّماها ذلك، فتكلَّمت به، وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً[2].

قال الثعلبي: فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها، وقيَّدوها فقالوا: هي الكوكبة الحمراء، واسمها بالفارسيّة أناهيد[3]، وبالنِّبطية بيدخت. قال الثعلبي: ويدل على [صحة] هذا القول ما حدَّثنا [به] يحيى بن إسماعيل الحربي بإسناده عن عليّ ﷺ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا رأى سهيلاً قال: «لَعَنَ الله سُهَيلاً إنَّه كانَ عَشَّاراً باليمنِ، لَعَنَ الله الزُّهرَة فإنَّها فَتَنَتِ المَلَكَينِ»[4].

قال: وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي: ارمق الكوكبة، يعني

(١) في «تفسير البغوي»: (إنسان).

(٢) النقل بالحرفية من «عرائس المجالس» ص ٥١ـ٥٣، وانظر «تفسير البغوي» ١/ ١٠٠ـ١٠١.

(٣) في الأصول الخطية: (هيد)، وفي «العرائس»: (ناهيد) والمثبت من «معجم الذهبي» ص ٧٦.

(٤) أخرجه بشطره الأول الطبراني في «الكبير» (١٨١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٩١)، وقال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يصح.
وأورد الشطر الآخر السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٩٧، وعزاه لابن مردويه. وما بين معقوفين من «عرائس المجالس».

الزهرة، فإذا طلعت فآذنّي أو فأيقظني قال: فلمَّا طلعت أيقظته، فجعل ينظر إليها ويسبُّها سبّاً شديداً، فقلت: رحمك الله، أتسبُّ نجماً سامعاً لله مطيعاً؟! فقال: إنَّ هذه كانت بغيّاً فلقي الملكان منها ما لقيا[١].

قال نافع: وكان ابن عمر إذا رأى الزهرة قال: لا مرحباً ولا أهلاً[٢].

وروى أبو عثمان النَّهدي عن ابن عباس بنحو ما روى مجاهد عن ابن عمر.

وقال الثعلبي: وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا: إنَّ الزهرة من الكواكب السبعة السَّيارة التي جعلها الله قواماً للعالم وأقسم بها فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] وإنما كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى الزهرة من جمالها، فلما بغت جعلها الله شهاباً، فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة، ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذا سهيل العشَّار كان رجلاً عشّاراً باليمن، فلما رأى رسول الله ﷺ النجم ذكره فلعنه. يدل عليه ما روى قيس بن عُباد عن ابن عباس[٣] قال: كانت الزهرة امرأة فُضِّلَتْ بالحسن على الناس كما فضلت الزهرة على سائر الكواكب[٤]. ومثله قال كعب الأحبار وغيره، والله أعلم.

قلت: هذا صورة ما ذكره أبو إسحاق، ولم يبيّن ما في الأحاديث من المقال، وما رواه عن النَّبي ﷺ في الزهرة وسهيل لا يصح، وكذا ما روي عن ابن عمر. والدليل عليه أن جدي رحمه الله ذكر هذه الأخبار في «الموضوعات»:

أنبأنا جدي رحمه الله قال أنبأنا أبو منصور القزَّاز بإسناده عن معاوية بن صالح عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلما كان آخر اللَّيل قال: يا نافع طلعت الحمراء؟ فقلت: لا، فلمَّا طلعت أخبرته، فقال: لا مرحباً ولا سهلاً. قلت: سبحان الله، نجم سامع مطيع تقول له هذا؟! فقال: ما قلت إلّا ما سمعته من رسول الله ﷺ، أو قال: قال رسول الله: ﷺ إنَّ الملائكة قالت: «يا ربِّ كيفَ صبرُك على بني آدمَ في الخطايا

(١) «عرائس المجالس» ص ٥٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥٨.

(٣) في (ب): قيس بن عبادة عن أنس وابن عباس.

(٤) «عرائس المجالس» ص ٥٣.

والذُّنوب؟ قال: إنِّي ابتليتُهم وعافيتُكم، قالوا: لو كنَّا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملَكَين منكم. فلم يَألوا أن اختاروا هاروتَ وماروتَ فنزلا، فألقَى عليهما الشَّهوة، فجاءت امرأةٌ يقال لها: الزُّهرة، فوقعت في قلوبهما، فجعل كلٌّ واحد منهما يخفي ما في نفسه عن صاحبه. ثم راوداها فقالت: لا أمكِّنكما حتى تعلِّماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان، فامتنعا، ثم أجابا ففعلا، فمسخها الله كوكباً، وقطع أجنحتهما. ثم سألا التوبة من ربِّهما فخيَّرهما بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدُّنيا، فأوحى الله إليهما: انطلقا إلى بابل، فانطلقا فهما منكوسان بين السماء والأرض يُعذَّبان إلى يوم القيامة». قال جدّي رحمه الله: هذا حديث لا يصحُّ[1].

وأمَّا حديث سُهيل وقول النبيِّ ﷺ: «لعن الله سُهيلاً كان عشَّاراً باليمن» فقال جدي في «الموضوعات» أيضاً: لا يصحّ مرفوعاً إلى رسول الله ولا موقوفاً، تفرَّد به إبراهيم ابن يزيد الخوزي، اتفقوا على تركه[2].

وقد رُويت لنا هذه القصة وليس فيها أنَّ الزهرة مُسخت كوكباً: قرأتُ على شيخنا الموفَّق المقدسي رحمه الله قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقور، بإسناده عن عبد الله بن عمر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنَّ آدمَ لمَّا أَهبَطَه الله تعالى إلى الأرض قالتِ الملائِكَةُ: يا ربِّ، أتجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها ونَحن أَطْوَع لك من بَني آدَمَ؟، فقال الله: هَلمُّوا ملَكَين منكُم حتى نُهبِطَهما إلى الأرضِ فننظر كيف يعملان، فاختاروا هارُوتَ ومارُوتَ، فأُهبِطا إلى الأرضِ[3] ومَثُلَت لهما الزُّهرة امرأة من أحسنِ البَشَر، فسألاها نَفسَها، فقالت: لا والله حتى تَتكلَّما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: لا واللهِ لا نشركُ بالله شيئاً، فذهبت عنهما. ثمَّ رجَعَتْ بصبيٍّ تحملُه، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتُلا هذا الصبيَّ، فقالا: لا والله لا نقتُلُه أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحملُه، فسألاها نَفسَها فقالت: لا واللهِ حتى تَشرَبا هذا القدَحَ، فشَرِبا القدَحَ حتى سَكرا فوَقَعا عليها، وقَتلا الصبيَّ، وتكلَّما بالكلمةِ. فلمَّا أفاقا قالت

(١) «الموضوعات» (٣٨٩).

(٢) «الموضوعات» (٣٩٠).

(٣) من قوله: فننظر كيف يعملان . . . إلى هناليس في (ب).

لهما: واللهِ ما تَرَكتُما شيئاً مما أَبَيْتماه إلَّا فَعلْتُماه حين سَكِرتما، فخيِّرا بين عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ فاختارا عذابَ الدُّنيا»[١].

وحكى جدّي رحمه الله قولين آخرين:

أحدهما: عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنهما جارا في الحكم.

والثاني: أنهما همَّا بالمعصية فقط، ولم يفعلاها[٢].

قلت: وهذا القول الأخير أليق بالملائكة من مباشرة الزِّنا والقتل وشرب الخمر.

قال ابن عباس: فلمَّا أمسيا همَّا بالصعود إلى السماء بعدما قارفا الذَّنب، فلم تطعهما أجنحتهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريس وسألاه أن يشفع لهما إلى الله، وقالا: إنَّا رأيناك يصعد لك من العبادة[٣] مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا، فشفع فيهما، فخيَّرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما أنه ينقطع، فهما ببابل يعذَّبان[٤].

وروى أبو صالح عن ابن عباس، ورواه معاذ مرفوعاً والموقوف أصحّ، قال: جاءهما جبريل، فبكيا وبكى معهما، فقال لهما: ما هذه البليّة التي أجحفت بكما؟ وما هذا الشّقاء؟ فإنّ الله أرسلني إليكما يخيِّركما بين عذاب الدنيا وأن تكونا عنده في الآخرة في المشيئة إن شاء عذبكما وإن شاء رحمكما، وإن شئتما عذاب الآخرة. فاختارا عذاب الدنيا وأن يكونا عند الله في المشيئة، قال: فهما ببابل فارس معلقان بين جبلين في غار تحت الأرض، يعذّبان طرفي النّهار إلى الصّيحة. فلما رأت الملائكة ذلك خفقت بأَجنحتها ثم قالت: اللهمَّ اغفر لولد آدم فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٥] [الشورى: ٥].

وفي رواية: فقالت الملائكة: عجباً لبني آدم كيف يعبدون الله تعالى ويطيعونه على

---

(١) «كتاب التوابين» (١) وهو عند أحمد في «المسند» (٦١٧٨)، وهو حديث باطل انظر الكلام عليه في «المسند».

(٢) ذكرهما في «زاد المسير» ١/ ١٢٤.

(٣) في (ب): «العمل».

(٤) انظر «عرائس المجالس» ص ٥٣.

(٥) أخرجه المقدسي في «التوابين» (٢) موقوفاً.

ما فيهم من الشهوات[١]!؟

وقال ابن مسعود: فداروا حول العرش أربعة آلاف سنة يعتذرون من اعتراضهم.

واختلفوا في كيفية عذاب الملكين على أقوال:

أحدها: أنهما معلَّقان بشعورهما إلى قيام الساعة، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنهما مكبَّلان بالحديد من أقدامهما إلى رؤوسهما، قاله قتادة.

والثالث: أنَّ جبّاً ملىء ناراً وجعلا فيه، قاله مجاهد[٢].

وحكى أبو إسحاق الثعلبي: أنَّ رجلاً قصدهما ليتعلَّم السِّحر، فوجدهما معلَّقين بأرجلهما، مزرقَّة عيونهما، مسودَّة جلودهما، ليس بين ألسنتهما والماء سوى أربعة أصابع، وهما يصيحان: العطش العطش!. فلما رأى ذلك هاله مكانهما، فقال الرجل: لا إله إلا الله، وقد نهيا عن ذكر الله، فلمَّا سمعا كلامه قالا: من أنت؟ فقال: رجل من أمَّة محمد ﷺ، قالا: وقد بُعث؟ قال: نعم، فقالا: الحمد لله، واستبشرا وقالا: هو نبيُّ الساعة، وقد دنا [انقضاء عذابنا][٣].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار، فينصحاه وينهياه ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢] أي بتعليم[٤] السِّحر.

فصل في حكم السَّاحر والسَّاحرة

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: يكفر السَّاحر بسحره ويقتل، أمَّا المرأة السَّاحرة فتحبس ولا تقتل، سواء كان السَّاحر من أهل الإسلام أو من أهل الكتاب.

وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قَتَلَ بسحره قُتِلَ به.

وقال أحمد: يكفر بسحره قَتل أو لم يَقتل. وهل تقبل توبته؟ فيه روايتان.

وأمَّا ساحر أهل الكتاب فلا يقتل عند أحمد إلا أن يضرَّ بالمسلمين فيقتل، لنقض

---

(١) «كتاب التوابين» (٢).

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٥٣ـ٥٤، و«زاد المسير» ١/ ١٢٥.

(٣) «عرائس المجالس» ص ٥٤. وما بين معقوفين زيادة منه.

(٤) كذا في النسختين (ب) و(ل)، وصوابه: بتعلم.

العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة[١]. وعنده وعند الشافعي[٢].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ وإنما وحَّد الفتنة وهما اثنان لأنَّ الفتنة مصدر، والمصادر لا تثنَّى ولا تجمع. وفي مصحف أبيِّ بن كعب: «وما يعلِّمان من أحد حتَّى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر» سبع مرَّات وفي مصحف ابن مسعود «وما يعلّم الملكان من أحد».

وقال مقاتل: فإن أبى إلَّا التعليم قالا: ائت ذلك الرماد فَبُلْ عليه، فإن بال عليه خرج منه نور الإيمان والمعرفة ساطعاً في السماء، وينزل شيء أسود فيدخل في مسامعه شبيه الدُّخان، فذلك غضب الله تعالى وسخطه.

وقال مجاهد: الملكان لا يصِل إليهما أحد وإنما يختلف إليهما شيطان في السنة مرَّة واحدة.

ومعنى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[البقرة: ١٠٢] وهو أن يبغض كلُّ واحد منهما صاحبه ويؤخذ عنه.

قرأت على شيخنا الموفَّق المقدسي رحمه الله: بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﵂ قالت: قدمت امرأةٌ من دُومة الجَنْدَل تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته ـ حداثةَ ذلك ـ تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السِّحر ولم تعلم به، قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي فرأيتها تبكي حتى إني لأرحمها، تقول: إني أخاف أن أكون قد هَلَكت، كان لي زوج فغاب عنِّي، فدخلت إلى عجوز فشكوت إليها فقالت: إن فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك، فلمَّا كان اللَّيل جاءتني بكلبين أسودين فركبتُ أحدهما، وركبَتِ الآخر، فلم يكن كثيراً حتى أتينا بابل، فإذا برجلين معلَّقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ قلت: أتعلَّم السِّحر. فقالا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ فلا تكفري وارجعي، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت إليه ففزعت ولم أفعل شيئاً فرجعت إليهما، فقالا: أفعلتِ؟ قلت: نعم، قالا: فما رأيت؟ قلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبت لم تصنعي شيئاً. ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنَّك على رأس أمرك. قالت: فذهبت

(١) انظر «زاد المسير» ١/ ١٢٦.

(٢) لم يتضح لنا المراد من هذه العبارة، وانظر المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٩٩ـ٣٠٦.

فبلتُ فيه، فرأيت فارساً مقنَّعاً بالحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه، وجئتهما وأخبرتهما، وقلت: رأيت كذا وكذا، فقالا: صدقت، ذاك إيمانك خرج منك، اذهبي.

قالت: فقلت للمرأة، والله ما أعلم شيئاً، ولا قالا لي شيئاً، قالت: بلى، لن تريدي شيئاً إلا كان، خذي هذا القمحَ فابذري، فبذرتُ، فقلت: اطلعي فطلعت، فقلت: الحقي فلحقت، فقلت: افركي ففركت، فقلت: اطحني فطحنت، فقلت: اخبزي فخبزت، فلمَّا رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان، سُقط في يدي وندمت، والله يا أمَّ المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً، فسألَتْ أصحاب رسول الله ﷺ حداثة [وفاة رسول الله ﷺ]، وهم متوافرون، فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف وحذر أن يفتيها بما لا يعلم، إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعضُ من كان عنده: لو كان أبواك حيَّين أو أحدهما.

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا أهل الورع، ولو جاءنا مثلها اليوم لوجدَتْ نَوْكى أهلَ حُمْقٍ وتكلُّفٍ بغير علم[1].

واختلفوا في كيفيَّة جواز تعليم السِّحر على الملكين، على قولين:

أحدهما: أنهما كانا لا يتعمَّدان تعليم السِّحر، ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه، ويأمران باجتنابه. ولكنَّ الشَّقي يتعلَّم منهما في خلال صفتهما، ويترك موعظتهما ونصيحتهما. فعلى هذا التأويل لا يكون تعلُّم السِّحر كفراً، وإنما يكون العمل به كفراً، كما أنَّ من عرف الزِّنا ولم يفعله لم يأثم وإنما يأثم الفاعل له.

والثاني: أنَّ الله عزَّ وجلَّ امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان، فيكفر بتعلُّمه، ويؤمر بترك التعلُّم، لأنَّ السِّحر كان قد كثر في تلك الأمَّة. ويزداد المعلِّمان عذاباً بتعليمه فيكون ذلك ابتلاء للمعلم والمتعلِّم. ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما ابتلى بني إسرائيل بالنَّهَر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾[البقرة: ٢٤٩] ودليله قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ وهذان القولان

(١) «كتاب التوابين» (١٢٠)، وما بين معكوفين منه.

حكاهما الزَّجَّاج واعتمد عليهما[١].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ أي: بالسِّحر ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بقضائه وقدره وعلمه ومشيئته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾[البقرة: ١٠٢] في الدَّارين ولا ينفعهم.

فصل في الملوك الذين كانوا في زمن إدريس عليه السلام

قال علماء السِّير: كان في زمانه طَهْمُورث.

وعامَّة المؤرخين على أنَّه طهمورت، بتاء منقوطة بنقطتين من فوق.

وقال أبو الحسين ابن المنادي: طهمورب، بباء منقوطة بواحدة من تحت.

واختلفوا فيه: فقال بعضهم: هو من ولد آدم لصلبه، وقال قوم: هو ابن أوشهنج أو أوشنج ابن آدم لصلبه. وقال ابن مسكويه في «تجاريب[٢] الأمم»: طهمورث أخو أوشنج. وقال قوم: هو من ولد أوشنج، بينه وبينه عدَّة آباء[٣].

فسلك طهمورت طريق الخير، وسار بسيرة من تقدّم من ولد آدم، وملك الأقاليم السبعة، ونفى الأشرار، وهو أوّل من كتب بالفارسية[٤]، واتخذ الخيل والبغال والحمير والكلاب لحفظ المواشي، واستمرَّت أحواله على الصَّلاح، وهو أوَّل من وضع التَّاج على رأسه من الملوك، وبنى المكان الذي جدَّده سابور ملك فارس، وأقام به حتى مات عن ست مئة سنة[٥].

فصل

ثم ملك بعده أخوه جَمْ شيد، وتفسيره: سيِّد الشعاع، سمي به لأنه كان وضيئاً جميلاً، وملك الأقاليم السّبعة، وسار في الناس السيرةَ الجميلة، وزاد على أخيه

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٨٣ـ١٨٤.

(٢) كذا في (ب) و(ل)، واسمه الذي طبع به: تجارب.

(٣) انظر تجارب الأمم ١/ ٦.

(٤) في (ب): «تكلم بالسُّريانية».

(٥) «تجارب الأمم» ١/ ٦ مع تصرف وزيادة، وانظر «التبصرة» ١/ ٥٢، والمنتظم ١/ ٢٣٦

طهمورت، وعمل السّيوف والسّلاح، واستخرج الابريسم والقزَّ، ورتَّب الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة علماء، وطبقة خدماء، وطبقة كتّاباً وصناعاً وحرّاثين ونحوهم. وعمل أربع خواتيم: خاتماً للحرب والشُّرطة وكتب عليه «الأناة»، وخاتماً للخراج وجباية الأموال وكتب عليه «العمارة»، وخاتماً للبريد وكتب عليه «الوحى»، وخاتماً للمظالم وكتب عليه «العدل»[١]. قال جدي رحمه الله في كتاب «التبصرة»: فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس إلى أن جاء الإسلام[٢].

قلت: ولو استعملت هذه الرُّسوم في ملك الإسلام أيضاً لكان أولى، لأنَّ الرَّعية من أحوج الناس إليها.

وألزم جَمْ شيد أهل الشّرّ والفساد الأعمالَ الصَّعبةَ من قطع الصخور من الجبال، وعمل الحمَّامات، واستخراج المعادن من البحار كالذهب والفضَّة والجوهر والياقوت، وأحدث النَّيروز فجعله عيداً. ولمَّا طال عمره تجبَّر وطغى وادَّعى الرُّبوبيَّة[٣].

قال جدي في «أعمار الأعيان»: عاش جَمْ شيد تسع مئة سنة وستين سنة[٤]. فسار إليه الضحَّاك واسمه بيوراسب بن الأهبوب.

واختلفوا في الضَّحاك: فقال قوم: هو من ولد جيومرت، وقيل: إنَّ الضحَّاك ابن أخت جَمْ شيد، كان جم قد زوَّج أخته من بعض أشراف بيته فولدت الضحَّاك، وقيل: إنما زوَّجها جَمْ من الأهبوب، فولدت الضحَّاك. فسار إليه الضحَّاك، فهرب بين يديه، فتبعه فظفر به، فقال له: مثلك يدَّعي الرُّبوبيَّة فإن كنت إلهاً فادفع عن نفسك، فنشره بمنشار ـ ذكره الجوهري بنون[٥]. وغيره يقول: ميشار بالياء ـ وملَكَ الضحَّاك ألف سنة، وكان يدين بدين البراهمة[٦].

---

(١) النقل من «التبصرة» ١/ ٥٢ـ٥٣، والمنتظم ١/ ٢٣٦ـ ٢٣٧، وانظر «تجارب الأمم» ١/ ٦.

(٢) «التبصرة» ١/ ٥٣، و«تجارب الأمم» ١/ ٦.

(٣) وانظر «التبصرة» ١/ ٥٣، و«تجارب الأمم» ١/ ٧.

(٤) «أعمار الأعيان» ص ١٢٧.

(٥) «الصحاح»: (نشر).

(٦) انظر «تجارب الأمم» ١/ ٧، و«التبصرة» ١/ ٥٣، والمنتظم ١/ ٢٣٧.

وذكر هارون بن المأمون: أنَّ الضحَّاك كان في زمن نوح عليه السَّلام، وأنه أرسل إليه وإلى قومه، قال: والفرس تسمِّيه بيوراسب، والعرب تسمِّيه: الضحَّاك، وهو أوَّل الفراعنة، وملَكَ الأقاليم كلها، وكان ساحراً فاجراً، وهو أوَّل من نشر بني آدم بالمنشار وصلب، ووضع العشور، وأوَّل من غُنِّي له، وأوَّل من ضرب الدَّراهم والدَّنانير، وسنذكره في الحوادث التي كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السَّلام واختلاف الناس فيه وقتل أفريدون له إن شاء الله تعالى.